أمر بني إسرائيل بذبح البقرة وأثره على المسلمين

أ .د: فرمان اسماعيل ابراهيم
سجا خليل ابراهيم العبدلي
جامعة تكريت– كلية العلوم الاسلامية

مقدمة

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد عبدالله ورسوله، وصفيه وخليله، وخاتم الانبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين، وصحبه الاكرمين، وعلى التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فأن سورة البقرة هي اطول سور القران الكريم، واحتوت على كثير من احوال بني إسرائيل مع انبيائهم، وقد مكث موسى –عليه السلام– في قومه مدة ليست قصيرة يدعوهم إلى الله تعالى ومع ذلك فإن نفوسهم كانت ملتوية بشكل لا تخطئه عين الملاحظة، وقد يرى عنادهم واضحاً فيما يعرف بقصة البقرة . فإن الموضوع لم يكن يقتضي كل هذه المفاوضات بينهم وبين موسى –عليه السلام–، كما أنه لم يكن يستوجب كل هذا التعنت. فإن بني إسرائيل تعنتوا فيها وعقَّدوا الأمور، وتشددوا فشدد الله عليهم .

وقد وفقني الله تعالى للكتابة في هذا الموضوع ((أمر بني إسرائيل يذبح البقرة وأثره على المسلمين)). وكان من اسباب اختياري للموضوع أهميته للأُمة الاسلامية لإفادة منه في اجتناب التعنت والتشدد كما تعنت بنو إسرائيل، وأن يسلم وجهه طوعاً الله تعالى.

وقد اعتمدتُ على مصادر متنوعة منها: كتب التفسير وكتب الحديث النبوي الشريف وكتب اللغة وغيرها.

أما عن خطة البحث فقد أملي علي أن أجعل البحث على أربعة مباحث،

و الخاتمة .

أما المبحث الأول فقد تضمن: قصة البقرة وسبب القتل، واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم القصص في اللغة و الاصطلاح.

المطلب الثاني: قصة البقرة وسبب القتل .

أما المبحث الثاني فقد تكلمت فيه على: الأمر بذبح البقرة

وكان المبحث الثالث للحديث عن: الأمر بضرب المقتول ببعض لحمها.

أما المبحث الرابع فجعلته لبيان: أثر قصة البقرة على المسلمين .

ثم ذكرتُ في الخاتمة أهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال البحث والدراسة.

أما ما يخص منهج البحث فيمكن تلخيص ذلك بالأمور الآتية:

١- جعلت لكلّ آية أو آيات عنواناً معيناً.

٢- رجعت إلى بعض العاجم اللغوية وكتب المعاني والغريب لبيان بعض الألفاظ التي تحتاج الى توضيح .

٣- اعتمدت أمّات كتب التفسير ليتسنى لي معرفة معاني الآيات وبيان ما ورد في تفسيرها من آثار وأقوال لأعلام المفسرين.

٤- بيّنت أثر الموضوع في المجتمع من خلال ربط الآيات بالواقع، وضرورة الأخذ بمعاني الآيات في الحاضر .

وختاماً هذا هو جهدي المتواضع، فإن كنت أصبت فبتوفيق من الله وله الحمد والمنة، وإن أخطأت في شيء فالكمال الله وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين وصلّ اللهم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول: قصة البقرة وسبب القتل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم القصص في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: قصة البقرة وسبب القتل.

المبحث الأول: قصة البقرة وسبب القتل

لم يعتمد القران الكريم اسلوبا واحدا لإيصال رسالته إلى الناس، بل تعددت اساليبه وتنوعت، فهو حينا يعتمد اسلوب الحوار، وحينا آخر يعتمد اسلوب ضرب المثل، وتارة يعتمد اسلوب التربية النفسية والتوجيه الخلقي، إلى غير ذلك من الاساليب التي لا تخفى على من تأمل وتدبر كتاب الله العزيز.

وأسلوب القصة من الاساليب التي أعتنى القران الكريم بها عناية خاصة؛ بما فيها من عنصر التشويق، وجوانب الاتعاظ والاعتبار، وقد ألمح القران الى هذا في اكثر من آية من ذلك قوله تعالى﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ١٧٦ إلى غير ذلك من الآيات التي تبين اعتماد القران الكريم اسلوب القصص، تحقيقا لمقاصد واغراض جمة[١]. ومن المعلوم أن سورة

(١) ينظر: الموقع الالكتروني لشبكة الانترنت http://www.inshad.com/forum/showthread

البقرة هي اطول سور القران الكريم، وقد تحدثت بعض آياتها عن قصة البقرة التي أمر الله عز وجل بني إسرائيل بذبحها، فما هي تفاصيل هذه القصة وما سببها ؟ وقبل البدء في تفاصيلها لابد من تبيين مفهوم القصص القرآني.

المطلب الاول: مفهوم القصص في اللغة والاصطلاح.

أولاً: مفهوم القصص في اللغة: من القص (القاف والصاد اصل صحيح يدل على تتبع الشيء. من ذلك قولهم: اقتصصت الاثر، اذا تتبعته. و من ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك انه يفعل به مثل فعله بالأول، فكانه اقتص أثره. ومن الباب القصة والقصص، كل ذلك يتتبع فيذكر)[١]. وقال الليث: القص فعل القاص إذا قص القصص، و القصة معروفة. ويقال: في رأسه قصة يعني الجملة من الكلام، ونحوه قوله تعالى:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ يوسف: ٣؛ أي نبين لك احسن البيان[٢]. والقصة: الامر والحديث وقد اقتص الحديث رواه على وجهه . وقص علية الخبر (قصصا) والقصص بالكسر جمع (القصة) التي تكتب[٣]. والقصص: اسم سورة من سور القران الكريم[٤] . ومما سبق يتبين لنا أن مفهوم القصص في اللغة معناه المتابعة والبيان.

ثانياً: مفهوم القصص في الاصطلاح: (هو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من اطاع الله وشقاوة من عصاه).[٥]

وقصص القران أصدق القصص؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ النساء: ٨٧ وذلك لتمام مطابقتها للواقع. وأحسن القصص؛ لقوله تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ يوسف: ١١١ وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس ين زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م، ١١/٥، مادة (قص) .

(٢) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري، ت٧١١ هـ، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ،٧٣/٧، مادة (قص) .

(٣) ينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة طبعة جديدة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ص٢٥٤، مادة (ق ص ص).

(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، ت ١٤٢٤ هـ عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م،١٨٢٤/٣، مادة(قصص).

(٥) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد ين علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهناوي،١١٥٨هـ تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم ، تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي الى العربية: د. عبدالله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط١,١٩٩٦م،٣٢/١. .

وهي ثلاثة أقسام

١- قسم عن الانبياء والرسل، وما جرى لهم مع المؤمنين بهم والكافرين.

٢- وقسم يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت ثبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . وطالوت وجالوت، وابني آدم، أهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، أصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم .

٣- وقسم عن حوادث واقوام في عهد النبي -ﷺ-، كقصة غزوة بدر، وأحد، والأحزاب، وبني قريظة، وبني النضير، وغير ذلك.[١]

المطلب الثاني: قصة البقرة وسبب القتل .

أولا: قصة البقرة.

كما ذكرنا أن سورة البقرة أطول سورة في القران الكريم؛ وذلك أن الله سبحانه وتعالى ذكر في هذه السورة احداث تلك القصة، التي بدأت بالقتل وانتهت بالإحياء، وحاصل هذه القصة تبينه الآيات التالية: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ البقرة: ٦٧ -٧٣

هذه احداث القصة كما يذكرها القران الكريم على وجه الإجمال.

أما أحداث القصة على وجه التفصيل فقد رويت فيها روايات عدة حاصلها:

الرواية الاولى: رواها الامام الطبري -رحمه الله تعالى - بسنده (عن عبيدة السلماني-رضي الله عنه- قال: كان في بني إسرائيل رجل عقيم - أو عاقر- قال: فقتله وليه، ثم احتمله فألقاه في سبط[٢] غير سبطه. قال: فوقع بينهم فيه الشر حتى أخذوا السلاح. قال: فقال أولوا النهى: أتقتتلون وفيكم رسول الله؟ قال: اذبحوا بقرة! فقالوا:(أتتخذنا هزوا، قال:" أعوذ بالله أن اكون من الجاهلين. قالوا ادعوا لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة)، إلى قوله: (فذبحوها وما

(١) ينظر: القصص في القرآن الكريم، إسلام محمود دربالة ١/١-٢ .

(٢) السبط من اليهود كالقبيلة من العرب، وهم الذين يرجعون الى اب واحد وسمى سبطا ليفرق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق وجمعه اسباط، لسان العرب،٣١/٧. .

كادوا يفعلون) قال: فضرب، فأخبرهم بقاتله. قال: ولم تؤخذ البقرة إلا بوزنها ذهبا، قال: ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم. فلم يورث قاتل بعد ذلك).[١]

وقد روي عن ابن عباس وقتادة ومجاهد –رضي الله عنهم– نحو ما جاء في هذه الرواية . غير أن بعضهم ذكر أن الذي قتل القتيل الذي اختصم في أمره إلى موسى، كان أخا المقتول، وذكر بعضهم أنه كان ابن أخيه، وقال بعضهم: بل كانوا جماعة ورثة استبطئوا حياته. إلا أنهم جميعا مجمعون على أن موسى إنما أمرهم بذبح البقرة من اجل القتيل إذ احتكموا إليه.[٢]

وبعد أن ساق الامام ابن كثير – رحمه الله تعالى – عددا من الروايات الواردة بشأن هذه القصة، قال:" والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل وهي مما يجوز نقلها ولكن لا نصدق ولا نكذب فلهذا لا نعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا"[٣]

وكلام الامام ابن كثير هذا يفيد أن هذه الروايات مقبولة من حيث الجملة؛ لأنها تتفق والخبر القرآني، أما الخوض في تفاصيلها، فلا ينبغي الالتفات إليه ولا التعويل عليه .

ثانياً: سبب القتل .

في سبب قتله قولان:

أحدهما: انه قتل لأنه كان للقتيل ابنة حسناء أحب أن يتزوجها ابن عمها فمنعه عمه، فقتله وحمله من قريته إلى قرية أخرى فألقاه هناك. وقيل: ألقاه بين قريتين.

الثاني: أنه قتله طلبا لميراثه، فإنه كان فقيرا وادعى قتله على بعض الأسباط.[٤]

المبحث الثاني: الأمر بذبح البقرة

ذكرنا في ما مضى أن السبب في أمر الله –عز وجل– لهم بذبح البقرة هو حادثة القتل التي اتهم بعضهم بعضا بقتلها، وكل فريق منهم يدفع التهمه عن نفسه ويلصقها بغيره لشدة ما بينهم من

---

(١) ينظر: جامع البيان، محمد بين جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت ٣١.هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١٨٣/٢ - ١٨٤، وينظر ايضا: تفسر القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، ت ٣٢٧هـ، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ ١٣٦/١.

(٢) ينظر جامع البيان، ٨٨/٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢,١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م،٢٩٨/١ .

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القران، ابو عبدالله بن أحمد بين ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي،ت ٦٧١هـ، هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م،٤٥٦/١.

العدوات والحقد، حتى كادوا أن يقتتلوا جميعاً، ولما سألوا موسى –عليه السلام– الكشف عن الحقيقة قال لهم:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ البقرة: ٦٧ إنما قال الكليم موسى –عليه السلام– (إِنَ الله يَأمُرُكُم) ولم يقل أنا آمركم وإنما صدَر الأمر من الله تبارك وتعالى؛ ولم يقل: اذبحوا؛ بل قال: (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة)؛ ليكون أعظم وقعاً في نفوسهم، وأدعى إلى قبوله، وامتثاله.(١)

قال الامام الطبري –رحمه الله تعالى –: هذه الآية مما وبخ الله بها المخاطبين من بني إسرائيل، في نقض أوائلهم الميثاق الذي أخذه الله عليهم بالطاعة لأنبيائه، فقال لهم: وذكروا أيضا من نكثكم ميثاقي،﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ ﴾ إذا ادرؤوا في قتيل أي تدافع القوم، الذي قتل فيهم إليه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ فظنوا بموسى –عليه السلام– أنه في أمره إياهم– عن أمر الله تعالى ذكره بذبح البقرة عند تدارئهم في القتيل إليه – أنه هازئ لاعب. ولم يكن لهم أن يظنوا ذلك بنبي الله، وهو يخبرهم أن الله تعالى هو الذي أمرهم بذبح البقرة.(٢) والذي عليه جمهور المفسرين رحمهم الله تعالى أن أمرهم بذبح البقرة كان بعد تنازعهم في شأن القاتل من هو؟ وذلك ليعرف القاتل الحقيقي إذا ضرب القتيل ببعضها . وقد أمرهم الله –تعالى– بذبح بقرة دون غيرها من الحيوانات لأنها من جنس ما عبدوه وهو العجل، وفي أمرهم بذلك تهوين لشأن هذا الحيوان الذي عظموه وعبدوه وأحبوه فكأنه– سبحانه– يقول لهم: إن هذا البقر الذي يضرب به المثل في البلادة، لا يصلح أن يكون معبودا من دون الله، إنما يصلح للحرث والسقي والعمل والذبح .(٣) فإن هذا من الابتلاء العظيم، وهو أن يؤمر الإنسان بقتل من يحبه ويعظمه.(٤)

أما قوله تعالى:﴿ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ أي أتهز ء بنا، فكان الرد متعنتا، متنطعا، شديدا، لا يليق البتة لا بالنبي الكليم ولا بأمر رب العالمين، فبهذا يدل على سفه بني إسرائيل وسوء ظنهم بنبيهم وعدم توقيرهم له وجهلهم بعظمة الله تعالى وما يجب أن يقابل به أمره من الانقياد والامتثال، لأنهم لو كانوا عقلاء لامتثلوا أمر نبيهم، وانتظروا النتيجة بعد ذلك . ولكنهم قوم لا يعقلون.

---

(١) ينظر: تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ت١٤٢١ هـ ، دار ابن الجوزي ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣ هـ، ٢٣٤/١.

(٢) ينظر: جامع البيان،١٨٢/٢ .

(٣) ينظر: تفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، الفجالة ـ القاهرة، ط١٦٢/١,١ ـ ١٦٤ .

(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ين حيان أثير الدين الأندلسي و ت٧٤٥هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٢٠ هـ، ٤٠٤/١ .

ولما كان قولهم هذا القول يدل على اعتقادهم بأن موسى –عليه السلام– قد أخبر عن الله عز وجل بما لم يؤمر به، فرد عليهم النبي موسى –عليه السلام– برد بليغ مختصر بقوله:﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ أي: ألتجئ إلى الله عز وجل وأبرأ إليه من أن أكون من السفهاء الذين يروون عنه الكذب والباطل(١)، فهنا عرف موسى –عليه السلام– أن هؤلاء اليهود هم جاهلون.. جاهلون بربهم وبرسولهم وجاهلون بآخرتهم.. وأنهم يحاولون أن يأخذوا كل شيء بمقاييسهم وليس بمقاييس الله عز وجل فاتجه موسى –عليه السلام– إلى السماء يستعيذ بالله من هؤلاء الجاهلين.. الذين يأتيهم اليسر فيريدونه عسرا. ويأتيهم السهل فيريدونه صعبا . ويطلبون من الله أن يعنتهم وأن يشدد عليهم وأن يجعل كل شيء في حياتهم صعبا وشاقا(٢)، ولقد كان في وسعهم– وهم في سعة من الأمر – أن يمدوا أيديهم إلى أية بقرة فيذبحوها، فإذا هم مطيعون لأمر الله، منفذون لإشارة رسوله. ولكن طبيعة التلكؤ والالتواء تدركهم، فإذا هم يسألون:

﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾البقرة: ٦٨ والسؤال بهذه الصيغة يشي بأنهم ما يزالون في شكهم أن يكون موسى عليه السلام هازئاً فيما أنهى إليهم!،كذلك يردهم موسى –عليه السلام– إلى الجادة، بأن يسلك في الإجابة طريقا غير طريق السؤال. إنه لا يجيبهم بانحرافهم في صيغة السؤال كي لا يدخل معهم في جدل شكلي.. إنما يجيبهم كما ينبغي أن يجيب المعلم المربي من يبتليه الله بهم من السفهاء المنحرفين. يجيبهم عن صفة البقرة:﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾البقرة: ٦٨، إنها بقرة لا هي عجوز ولا هي شابة، وسط بين هذا وذاك. (ثم يعقب على هذا البيان المجمل بنصيحة آمره حازمة:﴿ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ البقرة: ٦٨، ولقد كان في هذا كفاية لمن يريد الكفاية وكان حسبهم وقد ردهم نبيهم إلى الجادة مرتين، ولمح لهم بالأدب الواجب في السؤال وفي التلقي. أن يعمدوا إلى أية بقرة من أبقارهم، لا عجوز ولا صغيرة، متوسطة السن، فيخلصوا بها ذمتهم، وينفذوا بذبحها أمر ربهم، ويعفوا أنفسهم من مشقة التعقيد والتضييق.. لقد راحوا يسألون:﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ﴾البقرة: ٦٩ هكذا مرة أخرى:>>ادعُ لَنا رَبَكَ<< ! ولم يكن بد– وقد شققوا الموضوع وطلبوا التفصيل – أن يأتيهم الجواب بالتفصيل:﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ البقرة: ٦٩ وهكذا ضيقوا على أنفسهم دائرة الاختيار– وكانوا من الأمر في سعة– فأصبحوا مكلفين أن يبحثوا لا عن بقرة مجرد بقرة بل عن بقرة متوسطة السن، لا عجوز ولا صغيرة، وهي بعد هذا

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٦٤/١ .

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ت١٤١٨ هـ مطابع أخبار اليوم، ٣٩١/١.

صفراء فاقع لونها...﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ ...ولم يكتفوا بذلك بل طلبوا منه أن يبين لهم صفات اخرى حتى يرتفع الالتباس والتشابه كما زعموا لعلهم يهتدون هذه المرة:﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ البقرة: ٧٠ فأجاب الله تعالى:﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ البقرة: ٧١ .. وهكذا لم تعد بقرة متوسطة العمر. صفراء فاقع لونها فارهة فحسب. بل لم يعد بد أن تكون –مع هذا– بقرة غير مذللة ولا مدربة على حرث الأرض أو سقي الزرع وأن تكون كذلك خالصة اللون لا تشوبها علامة)[١] وأخيرا يقول الله تبارك وتعالى في وصف تباطئ التزام بني إسرائيل في تطبيق أوامره: ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ البقرة: ٧١ (وتدل هذه الآية الكريمة على تنطع بني إسرائيل في الدين، ومحاولتهم تضييق ما وسعه الله تعالى عليهم، وتهربهم من الانصياع لكلمة الحق، وتشككهم في صدق أنبيائهم، وتعنتهم في السؤال)[٢] فهم قوم متخصصون في اللجاجة والتعنت .

المبحث الثالث: الأمر بضرب المقتول ببعض لحمها.

بعدما انتهت قضية شروط البقرة وذبحها أعلمنا الله –عز وجل– لماذا أمروا بذبحها،و هذا تشويق في القضية، وجذب الانتباه، أنه أتى بالسبب ثم أتى بالقضية الأصلية فقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَ‍ٔۡتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ البقرة: ٧٢، هذا أول القصة، حصل أولاً القتل للشخص ثم تنازع فيه الناس، فأراد الله–عز وجل– أن يكشف الحقية، فأمرهم بذبح البقرة؛ ليضربوه ببعضها فيحيا القتيل فيخبرهم عن قاتله، وتبين للجميع مدى قدرة الله –عز وجل– وعظيم حكمته ورحمته، ولذا قال لهم بعد ما ذبحوا البقرة:﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ البقرة: ٧٣ وهنا نصل إلى الجانب الثاني من جوانب القصة. جانب دلالتها على قدرة الخالق، وحقيقة البعث، وطبيعة الموت والحياة. وهنا يتغير السياق من الحكاية إلى الخطاب والمواجهة: لقد كشف الله عز وجل لقوم موسى –عليه السلام– عن الحكمة من ذبح البقرة كما ذكرنا ولم يكن هناك شاهد فأراد الله أن يظهر الحق على لسان القتيل ذاته وكان ذبح البقرة وسيلة إلى إحيائه، وذلك بضربه ببعض من تلك البقرة الذبيح.. وهكذا

---

(١) في ظلال القران، سيد قطب ابراهيم حسن الشاربي، ت١٣٨٥ هـ، دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ، ١/٧٧-٧٩.

(٢) التفسير الوسيط للقران الكريم، ١/١٦٢.

كان، فعادت إليه الحياة، ليخبر بنفسه عن قاتله، وليجلو الريب والشكوك التي أحاطت بمقتله وليحق الحق ويبطل الباطل بأوثق البراهين[١]

فقوله تعالى:﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا) فيه مسائل:

١ـ قوله تعالى:(اضربوه) (إرشاد لهم إلى الوسيلة التي عن طريقها سيهتدون إلى القاتل الحقيقي)[٢]، (والهاء ضمير وهو إما أن يرجع إلى النفس وحينئذ يكون التذكير على تأويل الشخص والإنسان وإما إلى القتيل وهو الذي دل عليه قوله: ﴿ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ البقرة: ٧٢

٢ـ يجوز أن يكون الله تعالى إنما أمر بذبح البقرة، لأنه تعلق بذبحها مصلحة لا تحصل إلا بذبحها ويجوز أن يكون الحال فيها وفي غيرها على السوية والأقرب هو الأول، لأنه لو قام غيرها مقامها لما وجبت على التعيين، بل التخيير بينها وبين غيرها.

وها هنا سؤال: ما الفائدة في ضرب المقتول ببعض البقرة مع أن الله تعالى قادر على أن يحييه ابتداء؟

الجواب: الفائدة فيه لتكون الحجة أوكد وعن الحيلة أبعد فقد كان يجوز لملحد أن يوهم أن موسى –عليه السلام – إنما أحياه بضرب من السحر والحيلة، فإنه إذا حيي عند ما يضرب بقطعة من البقرة المذبوحة انتفت الشبهة في أنه لم يحي بشيء انتقل إليه من الجسم الذي ضرب به، إذا كان ذلك إنما حيي بفعل فعلوه هم، فدل ذلك على أن إعلام الأنبياء إنما يكون من عند الله لا بتمويه من العباد وأيضا فتقديم القربان مما يعظم أمر القربان) .[٣]

٣ـ ثم اختلف العلماء في البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، وأي عضو كان ذلك منها. والراجح من الاقوال والله أعلم ما رجحه الامام الطبري – رحمه الله تعالى – (والصواب من القول في تأويل قوله عندنا:(فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا)، أن يقال: أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيا المضروب . ولا دلالة في الآية، ولا في خبر تقوم به حجة، على أي أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل به . وجائز أن يكون الذي أمروا أن يضربوه به هو الفخذ، وجائز أن يكون ذلك الذنب وغضروف الكتف، وغير ذلك من أبعاضها . ولا يضر الجهل بأي

---

(١) ينظر: في ظلال القران، ٧٩/١.

(٢) التفسير الوسيط للقران الكريم، ١٧١/١ .

(٣) مفاتيح الغيب، ابو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، ٦٠٦ هـ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط٣,١٤٢٠ هـ، ٥٥٢/٣ .

ذلك ضربوا القتيل، ولا ينفع العلم به، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله)[١].

وأكد الامام ابن كثير –رحمه الله تعالى– –في هذا الصدد– ما قرره الامام الطبري –رحمه الله تعالى–،فقال:(فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبينه الله تعالى لنا، ولكن أبهمه، ولم يجئ من طريق صحيح عن معصوم بيانه فنحن نبهمه كما أبهمه الله)[٢].

وما قرره الطبري وأكده ابن كثير في هذا الشأن، هو الذي ينبغي المصير إليه، والتعويل عليه؛ إذ لا دليل يدل على هذا التحديد، ولا فائدة ثمة من تعيينه و معرفته.

أما قوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ قال الامام الطبري –رحمه الله تعالى–:(وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾، مخاطبة من الله عباده المؤمنين من هذه الامة، واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث، وأمرهم با لاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من أحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا . فقال لهم تعالى ذكره: أيها المكذبون بالبعث بعد الممات، اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته، فإني كما أحييته في الدنيا، فكذلك أحيي الموتى بعد مماتهم، فأبعثهم يوم البعث. وإنما احتج جل ذكره بذلك على مشركي العرب، وهم قوم أميون لا كتاب لهم، لأن الذين كانوا يعلمون علم ذلك من بني إسرائيل كانوا بين أظهرهم، وفيهم نزلت هذه الآيات، فأخبرهم جل ذكره بذلك، ليتعرفوا علم من قبلهم)[٣]. ولأن الله تعالى لما أخبر محمدا –ﷺ– بذلك، فأخبرهم فصدقوه في ذلك أهل الكتاب ولم يكونوا على دينه، فكان ذلك من أدل الدليل عليهم بالبعث.[٤]

أما قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ) قال الامام الطبري – رحمه الله تعالى –: يعني جل ذكره: ويريكم الله أيها الكافرون المكذبون بمحمد –ﷺ–، وبما جاء به من عند الله من آياته لتعقلوا وتفهموا أنه محق صادق، فتؤمنوا به وتتبعوه[٥]

والمراد ب "الآية" هنا –والله أعلم– الآية الكونية؛ لأنها إحياء ميت بضربه بجزء من أجزاء هذه البقرة؛ ويحتمل أن يكون المراد آياته الشرعية أيضاً؛ لأن موسى عليه السلام أمرهم بذلك؛ فضربوا

---

(١) جامع البيان،٢/٢٣١ .

(٢) تفسير القران العظيم، ١/٣٠٢ .

(٣) جامع البيان،٢/٢٣٢.

(٤) ينظر: بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر ـ بيروت،١/٦٤.

(٥) ينظر: جامع البيان،٢/٢٣٣ .

الميت ببعض هذه البقرة؛ فصار ذلك مصداقا لقول موسى –عليه السلام–[١]

(فالمسألة أعدها الحق –تبارك وتعالى – بصورة لا تجعلهم يشكون أبدا.. فلو أن الله أحياه بدون أن يضرب بجزء من البقرة . لقالوا لم يكن قد مات، كانت فيه حياه ثم أفاق بعد اغماءة . ولكن الله أمرهم أن يذبحوا بقرة حتى تموت ليعطيهم درسا إيمانيا بقدرة الله وهم الماديون لا يؤمنون إلا بالماديات . وأن يأخذوا جزءا أو أجزاء منها و أن يضربوا به القتيل فيحيا وينطق باسم قاتله ويميته الله بعد ذلك).[٢] وفي الآية الكريمة تنبيه على أن الجماعة التي حكمهم واحد، يجوز أن ينسب الفعل إليهم وإن كان واقعا من بعضهم، ولا يكون ذلك كذباً، كما أن الجملة المركبة من شخص واحد يصح أن ينسب إليها ما وقع من عضو منها [٣]. فإن الله تعالى أكد لبني إسرائيل في هذه الاية الكريمة مرة أخرى صدق نبوة موسى عليه السلام وصدق رسالته؛ لأنهم قالوا له في بداية القصة:

﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ البقرة: ٦٧، فموسى –عليه السلام – وبنو إسرائيل يحيطون بالمكان فينطق الميت بحول الله وقدرته ويشير الى قاتله، وتبرئة من أتهم في قتله ظلما وعدوانا، وتعقيبا على هذا المشهد الأخير من القصة، الذي كان من شأنه أن يستجيش في قلوب بني إسرائيل الحساسية والخشية والتقوى وتعقيبا كذلك على كل ما سلف من المشاهد والأحداث والعبر والعظات، تجيء هذه الخاتمة المخالفة لكل ما كان يتوقع ويرتقب [٤]:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ البقرة:٧٤

---

(١) ينظر: تفسير القران، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن احمد المروزى السمعاني التميمي، ت ٤٨٩ هـ، تحقيق: ياسر بن ابراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض ـ السعودية، ط١، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م، ١٧٤/٣ .

(٢) تفسير الشعراوي، ٤٠٠/١ .

(٣) ينظر: تفسير الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، ت، ٥٠٢ هـ، تحقيق ودراسة: د. محمد بن عبد العزيز بسيوني، كلية الاداب ـ جامعة طنطا،ط١، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م، ص٢٣١ .

(٤) ينظر: في ظلال القران، ٨٠/١٠ .

المبحث الرابع: أثر قصة البقرة على المسلمين

أن قصص بني إسرائيل فيها أسلوب تربوي فعال لنا لأن القرآن الكريم لا يخاطب الأمة الاسلامية بشكل مباشر كما أشرت إلى ذلك سابقا بل يحدثهم عن أمم انحرفت فدفعت ثمن انحرافها باهظاً، وهكذا فإن الإنسان إذا قصر ودفع ثمن تقصيره باهظاً يبادر إلى تلافي الأمر . وفي ذكر الله تبارك وتعالى قصص أنبيائه في القرآن الكريم عبرة لأولى الألباب ومن هذه القصص قصة موسى –عليه السلام– مع بني إسرائيل وأمرهم بذبح البقرة، فقد عرضت في القرآن الكريم بأسلوب يظهر فيه مدى تباطئهم وسوء أدبهم مع أنبياء الله، وتعديهم لحدود الله –عز وجل–، القصد هو كشف حقيقة نوايا اليهود ووسائلهم وتحذير الجماعة المسلمة منها، وتحذيرها كذلك من الوقوع في مثل ما وقعوا به[١]، فكان النبي الكريم محمد –ﷺ– يجلس مع الصحابة–رضي الله عنهم– ويحدثهم عن بني إسرائيل، يقول الحابي الجليل عبد الله بن عمروا –رضي الله عنهما– قال: (كان نبي الله –ﷺ– يحدثنا عن بني إسرائيل حتى يصبح لا يقوم فيها الا إلى عُضم صلاة) [٢][٣]، (فهذه القصة مما أراد الله تعالى أن يقصه علينا من أخبار بني إسرائيل في قسوتهم وفسوقهم للاعتبار بها ولذلك نهى الله تعالى هذه الأمة عن كثرة السؤال بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢ ﴾ المائدة: ١٠١ – ١٠٢ ... وقد امتثل سلفنا الأمر فلم يشددوا على أنفسهم فكان الدين عندهم فطريا ساذجا وحنيفاً سمحاً، ولكن ممن خلفهم من عمد إلى ما عفا الله عنه فاستخرج له أحكاما استنبطها باجتهاده، وأكثروا منها حتى صار الدين حملاً ثقيلاً على الأمة فسئمتهُ وملت، وألقته وتخلت).[٤] ففي قول الكليم موسى –عليه السلام–﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ ﴾ البقرة: ٦٧ فائدة بديعة للأمة الإسلامية في دفاع الداعية عن نفسه إذا اتهم بشي ء باطل، وهذا الهزأ في أثناء تبليغ أمر الله تعالى جهل وسفه نفاه

---

(١) – ينظر في ظلال القران، ٦٦/١.

(٢) عظم صلاة: (عظم الشيء:اكبره كأنه اراد لا يقوم الا الى الفريضة. النهاية في غريب الحديث و الأثر، مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري، ت ٦٠٦هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ـ محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ٢٦٠/٣.

(٣) سنن أبي داوود، أبو داود سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني، ت ٢٧٥ هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، كتاب العلم ـ باب الحديث عن بني اسرائيل، رقم الحديث (٣٦٦٣)،٣٢٢/٣، ومسند الامام احمد بن حنبل، ٤٣٧/٤، رقم الحديث (١٩٩٣٨)، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح .

(٤) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، ت ١٣٥٤هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ٢٨٦/١.

النبي موسى –عليه السلام– عن نفسه وأكد أنه جاء غاية التأكد وقال: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ فهذه طبيعة نفسية بني إسرائيل، يعتبرون أمر الله تعالى نوعا من الهزأ والسخرية، ويظنون أنه بهذا الطلب يريد أن يشغلهم عن قضيتهم الاساسية لمعرفة القاتل، وفي هذه القصة ايضاً درس بليغ وتحذير للأمة الإسلامية من التكلف والتشدد والتنطع والسؤال عن المسائل التي لا ينبني عليها عمل، فأراد الله تبارك وتعالى أن نعتبر ونتعظ، إذا جاء الأمر من الله تعالى أن نستجيب فوراً وألا نتردد، ولا نجادل، وألا نقول لما وكيف، فقال تبارك وتعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾الحشر: ٧ بل صفة أهل الإيمان﴿ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٥ اما بنو اسرائيل فهذه عادتهم ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ البقرة: ٩٣ بل واحيانا كانوا يسألون النبي موسى عليه السلام عن الحكم ليعملوا بخلافه والعياذ بالله، قال لهم الله تعالى على الكليم موسى عليه السلام ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ البقرة: ٥٨ لكنهم لم يسجدوا، بكل مرة ينزل الله عز وجل عليهم العذاب ثم يعاهدهم فيعاهدون الله عز وجل ثم يرجعون مرة اخرى الى الذنوب والمعاصي فكل ما بادر الانسان بالتسليم فيما يأتيه ويترك الملاحة و التشدد وراء ضهره ييسر طريقه وسهل سبيله فان كان يتعنت ويكثر من السؤال والبحث والتنقيب فيزداد عليه التكاليف ولكنه لو سلم وقبل ولم يلح واخذ الامر على يسره لانتهى به الى الخير ولكن هؤلاء لما امروا بذبح البقرة تشددوا وتعنتوا على انفسهم فعوقبوا بما وصلوا اليه . ولذا في هذه القصة تحذير للامة الاسلامية من ان تتبع طريقة بني اسرائيل في التعامل مع نبيهم موسى عليه السلام تحذير ان تتبع نفس الطريقة في التعامل مع الامام الاعظم محمد(ﷺ) فقال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ الأحزاب: ٦٩ (والمعنى: يامن امنتم لله تعالى حق الايمان، التزموا الادب والطاعة والاحترام لنبيكم ﷺ واحذروا ان تسلكوا معه المسلك الذي سلكه بنو اسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام حيث اذووه شتى انواع الاذى) .[1]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ <<هلك المتنطعون>> قالها ثلاثا[2] (أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في اقوالهم وافعالهم)[3]. فالإسلام دين يسر فلا ينبغي للمسلم ان يتشدد في غير موضع التشدد فعن ابي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول

---

(١) التفسير الوسيط للقران الكريم، ٢٥٢/١١ .

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ابو الحسن القشيري النيسابوري، ت ٢٦١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي ـ بيروت، كتاب العلم ـ باب هلك المتنطعون، ٢٠٥٥/٤، رقم الحديث (٢٦٧٠) .

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ابو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، ت ٦٦٧هـ، دار احياء التراث العربي ـ بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ٢٢٠/١٦ .

الله ـ ﷺ ـ:(ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وبشيء من الدلجة)[١] (ومعنى الحديث النهي عن التشديد في الدين بان يحمل الانسان نفسه عن العبادة مالا يحتمله الا بكلفة شديدة)[٢] والاسلام دين التوازن بين المادية والروحية وبين الافراط والتفريط؛ لا يطغى احدهما على الاخر ،بل توسط بين المادية والروحية وجمع بينهما في توزان واتزان، وخاطب العقل والقلب معا بعد اكتماله بشريعة الاسلام، فلا تقبل المبالغة فيهما؛ فحث على العمل والكسب وجمع المادة، وجعلها عبادة روحية، ما دمت ابتغاء مرشاة الله تعالى و، لذلك كانت شريعته عامة كاملة:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾المائدة: ٣[٣]، وحذر النبي ﷺ امته من التعمق في الاسئلة عن المسائل التي لا ينبني عليها عمل فعت ابي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: (ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا)، فقال رجل: اكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم، فاذا امرتكم بشيء فاتو منه ما استطعتم، واذا نهيتكم عن شيىء فدعوه)[٤] وهذا يدل على كراهة المسائل وذمها لكن بعض الناس يزعم ان ذلك كان مختصا بزمن النبي ـ ﷺ ـ لما يخشى حينئذ بتحريم مالم يحرم، او ايجاب ما يشق القيام به، وهذا قد امن بعد وفاته ـ ﷺ ـ ولكن ليس هذا ووحده هو سبب كراهة المسائل، بل له سبب اخر، وهو الذي اشار اليه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بقوله: ولكن انتظروا، فاذا نزل القران، فإنكم لا تسألوا عن شيء الا وجدتم تبيانه . ومعنى هذا: ان جميع ما يحتاج اليه المسلمون في دينهم لابد ان يبينه الله في كتابه العزيز، ويبلغ ذلك رسوله ـ ﷺ ـ عنه، فلا حاجة بعد هذا لاحد في السؤال، فان الله تعالى اعلم بمصالح عباده منهم، فما كان في هدايتهم ونفعهم، فان الله تعالى

---

(١) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل ابو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت، ط٣، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧م، كتاب الايمان ـ باب الدين يسر، ٢٣/١، رقم الحديث (٣٩) .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبدالرحمن بن احمد بن رجب بن الحسن الحنبلي، ت ٧٩٥هـ،تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وغيره، مكتبة الغرباء الاثرية ـ المدينة النبوية، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م،١٤٦/١ .

(٣) ينظر: التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، علي علي صبح، المكتبة الازهرية للتراث، ط١,١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م، ص ١٤٦ .

(٤) صحيح مسلم، كتاب الحج ـ باب فرض الحج مرة في العمر، ٩٧٥/٢، رقم الحديث (١٣٣٧).

لابد ان يبينه لهم ابتداء من غير سؤال، وقد كان النبي ـ ﷺ ـ يسأل عن المسائل؛ فيحيل على القران، كما سأله الصحابي الجليل عمر ـ رضي الله عنه ـ عن الكلالة فقال (يا عمر، الا تكفيك اية الصيف التي في اخر سورة النساء)[١][٢]، فتعبر عن تعليم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الاسلوب الامثل في تعلم الشريعة في قوله ـ ﷺ ـ: فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم، واذا نهيتكم عن شيء فدعوه؛ فعبر باذا مرتين عن ذلك، لإفادة الجزم واليقين، وعن طريق الامر والنهي من قبل الله عز وجل ورسوله ـ ﷺ ـ، لا عن طريق كثرة السؤال والاختلاف، بل عن طريق اداء هذه الاوامر على قدر استطاعتهم، فلا يكلف الله نفسا الا وسعها، وعن طريق النهي عنها، فيتركونه بلا مناقشة او تأويل او جدال، فربما يؤدي ذللك الى نزول وحي قد يضعف التكليف فوق طاقاتهم[٣] . فعن ابي سعد بن وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: ـ ان النبي ﷺ ـ قال (ان اعظم المسلمين جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسالته)[٤] (وليس هذا حكم سائر الناس وتسالوهم عن المسائل، فانه من قصد بسؤال العالم التبكيت، والتعنيت، والأذى لم يجز ذلك سواء وجد عنده علما، او لم يجد لفساد مقصد السائل)[٥] كما فعل بنو اسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام، هكذا كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يفهمون القران فما يحبه الله فعلوه وما يبغضه تركوه، وعن ابي بكر[٦] ـ رضي الله عنه ـ : ذكر النبي ـ ﷺ ـ قعد على بعيره وامسك انسان بخطامه ـ او زمامه ـ قال أي يوم هذا . فسكتنا حتى ضننا انه سيسميه سوى اسمه قال (اليس يوم النحر) . قلنا بلى قال (فأي شهر هذا) . فسكتنا حتى ضننا انه سيسميه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الطلاق ـ باب ميراث الكلالة، ١٢٣٦/٣، رقم الحديث (١٦١٧) .

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب بن الحسن الحنبلي، ت ٧٩٥ هـ، المحقق: شعيب الارناؤوط ـ ابراهيم باجس، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط٧، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م، ٢٤٣/١ ـ ٢٤٤ .

(٣) ينظر : التصوير النبوي للقيم، ص١٢٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة ـ باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ٢٦٥٨/٦، رقم الحديث (٦٨٥٩) .

(٥) المنتقى شرح الموطإ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، ت ٤٧٤ هـ، مطبعة السعادة ـ بجوار محافظة مصر، ط١، ١٣٣٢ هـ، ٧٠/٤ .

(٦) هو نفيع ين حارث بن كلدة الثقفي، فهو مشهور بكنيته ابي بكرة، من فضلاء الصحابة، توفى بالبصرة ٥٢ هـ ينظر: الهداية و الارشاد في معرفة اهل الثقة والسداد، أحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي، ت ٣٩٨هـ، المحقق: عبدالله الليثي، دار المعرفة ـ بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ٧٥٢/٢، و: معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الاصبهاني،ت ٤٣٠ هـ تحقيق عادل بن يوسف العزاوي، دار الوطن للنشر ـ، الرياض،ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨ م، ٢٦٨/٥. .

بغير اسمه فقال (اليس بذي الحجة) . قلنا بلى قال (فان دمائكم واموالكم واعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ليبلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى ان يبلغ من هو اوعى له منه) [١] أي ادب واجلال وتوقير هذا عندما كان الصحابة فيه مع الرسول ـ ﷺ ـ لقد خاف الصحابة ان يجيبوا الرسول . ﷺ ـ فيما يعرفونه تمام المعرفة ويعلمونه علما يقين خشية من وقوعهم في المعصية او يقدموا بين يدي رب العالمين او بين يدي رسول العالمين ـ ﷺ ـ ومن سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ نتعلم الادب فعلى الرغم مما تهموه به وكذبوه فأجابهم بإجابة بليغة فقال ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ البقرة: ٦٧ فرسولنا الكريم ـ ﷺ ـ كان يسلي نفسه بأمر النبي موسى ـ عليه السلام ـ، فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قسم النبي ـ ﷺ ـ قسمة كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الانصار والله انها لقسمة ما اريد بها وجه الله قلت أما لأقولن للنبي ـ ﷺ ـ فأتيته وهو في اصحابه فساررته فشق ذلك على النبي ـ ﷺ ـ وتغير وجهه وغضب حتى وددت اني لم اكن اخبرته ثم قال (قد اوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر)[٢] ومن هنا نعلم ان العقل لا يحق له ان يعترض على الوحي الات من السماء ويوم يبدا بالاعتراض والتشكيك تبدا اللعنة ويحل الغضب فنعلم ان على المسلم ان يتلقى الاوامر والرسالة بالاستسلام وان يسلم وجهه طوعا لله تبارك وتعالى فنحن مهما بلغنا من فهم وعقل فاننا لن نبلغ فهم القران والسنة، ونعلم فضل الامة الاسلامية حيث لم يتعنتوا كما تعنت بنو اسرائيل كما سبق

الخاتمة

من خلال ما تم عرضه في هذا الموضوع واتماما للفائدة اذكر اهم النتائج التي توصلت اليها من خلال بحثي في هذا الموضوع

١- اسلوب القصة من الاساليب التي اعتنى القران الكريم بها عناية خاصة .
٢- القصص في الاصطلاح هو الاطلاع على اخبار الامم السالفة والقرون الماضية .
٣- وجه تسمية السورة بالبقرة لأنها ذكرت فيها قصة البقرة التي امر الله تعالى بني إسرائيل بذبحها لتكوبن اية .
٤- امر بني اسرائيل بذبح البقرة دون غيرها لأنها من جنس ما عبدوه من العجل.
٥- حرمان القاتل من الميراث سواء كان القتل عمدا او خطا .
٦- التشدد في الدين والمماطلة في تنفيذ اوامر الله تعالى ونبيه الكليم ـ عليه السلام ـ .
٧- ظهور الحق مهما طال طمسه.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم ـ باب قول النبي ﷺ (رب مبلغ أوعى من سامع) ٣٧/.١،رقم الحديث (٦٧).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الادب ـ باب الصبر على الأذى، ٢٦٦٣/٥ .، رقم الحديث (٥٧٤٩) .

٨- السؤال فيما لا يفيد ولا خير فيه بل قد يترتب عليه من النتائج مالا يحمد عقباه.

٩- ذكر الله سبحانه وتعالى لامة محمد (ﷺ) اخطاء بني اسرائيل والامم السابقة لئلا يقعوا فيها. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

المصادر والمراجع

- **القران الكريم**

١- بحر العلوم، ابو الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د . محمود مطرجي، دار الفكر ـ بيروت .

٢- البحر المحيط في التفسير، ابو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان اثير الدين الاندلسي، ت٧٤٥ هـ، تحقيق: صديقي محمد جميل، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣- التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، علي علي صبح، مكتبة الازهرية للتراث، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢ م.

٤- : تفسير الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، ت، ٥٠٢ هـ، تحقيق ودراسة: د. محمد بن عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب ـ جامعة طنطا،ط١، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م .

٥- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ت١٤١٨ هـ مطابع أخبار اليوم.

٦- تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ت١٤٢١ هـ ، دار ابن الجوزي ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٧- تفسير القران، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن احمد المروزي السمعاني التميمي، ت ٤٨٩ هـ، تحقيق: ياسر بن ابراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض ـ السعودية، ط١، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٨- تفسير القرآن العظيم، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط، ١٤٢٢. هـ ـ ١٩٩٩م.

٩- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، ت ١٣٥٤هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ٢٨٦/١.

١٠- تفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، الفجالة ـ القاهرة، ط١.

١١- جامع البيان، محمد بين جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٢- تفسر القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، ت ٣٢٧هـ، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ .

١٣- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب بن الحسن الحنبلي، ت ٧٩٥ هـ، المحقق: شعيب الارناؤوط ـ ابراهيم باجس، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط٧، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م .

١٤- الجامع لأحكام القران، ابو عبدالله بن أحمد بين ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ت ٦٧١هـ، هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٥- سنن أبي داوود، أبو داود سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني، ت ٢٧٥ هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت.

١٦- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل ابو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت، ط٣، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧م.

١٧- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ابو الحسن القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

١٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبدالرحمن بن احمد بن رجب بن الحسن الحنبلي، ت ٧٩٥هـ، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وغيره، مكتبة الغرباء الاثرية ـ المدينة النبوية، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

١٩- في ظلال القران، سيد قطب ابراهيم حسن الشاربي، ت١٣٨٥ هـ، دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ .

٢٠- القصص في القرآن الكريم، إسلام محمود دربالة .

٢١- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري، ت٧١١ هـ، دار صادر ـ بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ .

٢٢- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت، الطبعة طبعة جديدة، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٣- مسند الإمام احمد بن حنبل، أبو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد الشيباني، ت ٢٤١هـ، تحقيق: شعيب الارنؤوط ـ عادل مرشد، واخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م .

٢٤- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، ت ١٤٢٤ هـ عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م .

٢٥- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس ين زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

٢٦- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الاصبهاني، ت ٤٣٠ هـ تحقيق عادل بن يوسف العزاوي، دار الوطن للنشر -، الرياض،ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م .

٢٧- مفاتيح الغيب، ابو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، ٦٠٦ هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣,١٤٢٠ هـ .

٢٨- المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، ت ٤٧٤ هـ، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ط١، ١٣٣٢ هـ .

٢٩- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ابو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، ت ٦٦٧هـ، دار احياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ .

٣٠- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد ين علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهناوي،١١٥٨هـ تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي الى العربية: د. عبدالله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط١,١٩٩٦م .

٣١- النهاية في غريبب الحديث و الأثر، مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري، ت ٦٠٦هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٢- الهداية والارشاد في معرفة اهل الثقة والسداد، أحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي، ت ٣٩٨هـ، المحقق: عبدالله الليثي، دار المعرفة - بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ